مواطنون لا رعايا

عمّان تتظاهر: «خبز، حريّة، عدالة اجتماعيّة.» يومَ الجمعة، في المظاهرة، عددٌ لا بأس به من الناس. أمشي وأتأمّل اللافتات التي صنعناها ليلة البارحة. أجملها «مواطنون لا رعايا، حقوق لا مكارم.» إنجاز! رفضٌ لواقع الملَكيّة، وهي خطوةٌ صعبةٌ هنا. وجوه المتظاهرين فرحة. الحماسة يكسرها وجودُ رجال الشرطة بين الجموع. ماذا يفعلون هنا؟ يقمعون المتظاهرين؟ لا. يوزّعون الماء والبيبسي علينا! عن جدّ، والله! تعاملٌ جديدٌ، «حضاريّ،» لرجال الشرطة مع الأشكال الديموقراطيّة للتعبير عن الرأي. وفي المقابل، يصوّر رجالُ المخابرات المتظاهرين والمتظاهرات ويكتبون أسماءهم. في الظاهر انفتاحٌ، وفي الباطن قمعٌ. الحاكم خائف، وأنا سعيدة.

الانتماء السياسيّ يختلط بالكذب والمظاهر، من اليسار إلى الإسلاميين، والإيديولوجيّات الكثيرة، والتنظير. وفي خضمّ كلّ هذه الأشياء، تبقى معاناةُ من تبحث كلَّ يوم عن سببٍ لتبقى حيّة.

ينتهي يومٌ آخر لي في عمّان. نجلس في الغرفة الصغيرة. الأبواب دائمًا مشرعة، والغد غيرُ مهمّ، والقناني مرشوشة حولنا، والدخان. تبدو فلسطينُ بعيدةً، غيرَ مهمّة، والأفكارُ تتصارع، والسخرية، والضحك. نتساءل أين نذهب في هذا البرد. ننزل إلى وسط البلد لنأكل. أتخيّل أنّ بيروت أيضًا كانت ستحوي الروحَ نفسَها لو بقي وسطُ البلد. تطمس الزحمةُ الأضواءَ المنبعثةَ من التلال. تبدو لي المدينة مرسومة ولا أستطيع لمسها. أمامنا، في رأس العين، المجمّعُ ـ الديكتاتور، يفرض سطوتَه على التلال وساكنيها، يحتكر الفنّ والعلمَ والثقافةَ والمعرفة، تمامًا كما يحتكرها الرجلُ الأبيض.

في الغرفة، كتب الشاعر مهيب البرغوثي على الحائط «اللغة معرفة..وتربية البطّ أيضًا معرفة».

بيروت

ملفات الآداب القادمة

□ العنصرية والعنصريّة المضادّة في الخطاب الثقافي العربي

□ الانتفاضات العربيّة وتحدّياتها

❖❖❖